خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

نواسيات

يا عاقد القلب مني   هلاّ تذكرت حلاّ
تركت مني قليلا   من القليل أقلاّ
يكاد لا يتجزّا   أقل في اللفظ من (لا)

الشاعر الحسن بن هاني وهو ابو نواس

يقول الجاحظ: نظرنا في الشعر القديم والمحدث، فوجدنا المعاني تقلب وبعض يأخذ من بعض وقل معنى من معاني الشعر القديم تفرد بأبداعه شاعر الا ورايت من الشعر من زاحمه فيه واشتق منه الا عنترة وابي نواس. وقد ذكر نماذج من شعرهم.

اما ابو نواس فيقول عن نفسه: لا اكاد اقول شعرا جيدا حتى تكون نفسي طيبة واكون في بستان مونق وعلى حال ارتضيها من صلة اوصل بها او وعد بصلة وقد قلت في غير هذا الحال اشعارا لا ارضاها.

وقال: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب، فما ظنك بالرجال

وقال: شغلتُ عن طبقة من تقدمني من الشعراء وعلوت عن طبقة من معي ومن يجيء بعدي، فانا نسيج وحدي.

وحدث جماعة من الرواة ممن شاهد ابا نواس، قالوا: كان اقلّ ما في ابو نواس الشعرُ. وكان فحلا رواية عالما.

ابو نواس على الرغم مما قيل ويقال عن عبثه ومجونه الا انه أحدث انقلابا في الشعر العربي في موضوعاته وصوره وأساليبه ولغته.

فلم يكن ابو نواس انسانا عاديا بسيطا فهذا الشعر لا يصدر الا عن عقل وذهن استوعب الشعر العربي وتمكن من لغته وافكاره وما انجزته عقول معاصريه من علماء الكلام كالمعتزلة وغيرهم.

وهذه الابيات ينطبق عليها علم الكلام اكثر مما ينطبق عليها فن الشعر، فهي من حيث الشعر تتبع موسيقى الشعر بحسب الاوزان والقوافي ولكن أين الاحساس الشعري اننا لا نكاد ان نحس بالابداع الصوري والخيال الذي عودنا عليه ابو نواس في قصائد اخرى.

فهي وان دلت على مخاطبة ذكرية على ما اعتاد عليه ابو نواس في مداعبة الغلمان الا انه يشعر بتوجس من هذا المحبوب الذي قد عقد القلب عليه وسد الباب بوجهه فهو يطالب المحبوب بحل لهذه القضية.

وللتدليل على معاناته يصف الشاعر هزاله وضعفه حيث لم يبق من الجسد الا اقل من القليل وهذه مسألة فيها احكام عقلي منطقي يبتعد قليلا عن العواطف.

وهذا القليل لا يمكن تجزئته كما لا يمكن تجزئة اللفظ "لا" فهي بأجتماع الحرفين تعطي معنى النفي او النهي ولكن اذا فرقنا هذين الحرفين فكل حرف منهما لا يعطي معنى والمقصود فساد المعنى المطلوب وهنا نلاحظ التأثير العقلي في الشعر ما يعطي المتأمل لشعر ابو نواس الانبهار لما في قدرة هذا الشاعر على الابداع.

الأدباء العراقيون يستذكرون يوسف عبد المسيح ثروت

عبد الجبار العتابي

بين صورة كبيرة له علقت على المنصة وكتبه التي انتشرت عليها وبين عائلته واصدقائه ومحبيه، استذكر الادباء العراقيون زميلهم الراحل يوسف عبد المسيح ثروت قريبا من ذكراه السنوية التي تصادف الثامن عشر من كانون الثاني، في اصبوحة حضرها حشد من الادباء والاعلاميين، بعد مرور اربعة عشر عاما على رحيله، وهي المرة الاولى التي تتم فيها اقامة احتفائية له، وكانت صورته ترسم ملامح عتاب تارة ومحبة وشكر للذين تذكروه، كأن رأسه تهتز للذين يعاينونها، قدم الاصبوحة الناقد علي الفواز الذي قال في مقدمته ان الراحل تعرض الى الاهمال حتى ممن تقربوا اليه من كتبه المترجمة او مؤلفاته وتعاملوا مع نصوصه كما يتعاملوا مع وثائق سرية، واضاف: كان يوسف مترجما متميزا، وعصاميا ويذكرنا بالكاتب العربي عباس محمود العقاد الذي بدأ بعصاميته ليخلق له مكانة في الثقافة المصرية. كان يوسف يملك الكثير من القدرات لكي يترك اثرا نحن بدأنا نعيده ونتلمسه داخل العقل العراقي والثقافة العراقية، ثم سرد جزء من سيرة حياته قائلا: ولد يوسف ثروت عام ١٩٢١ في ديار بكر "تركيا" قبل ان تتشقق الجغرافيا الى دول، جاء الى العراق عام ١٩٢٥ وسكن بعقوبة في قرية الهويدر، تخرج في دار المعلمين وصار نقيبا للمعلمين في مدة حكم عبد الكريم قاسم، توفي عام ١٩٩٤، واكد الفواز: اننا نحتفي بالذكرى الرابع عشرة لرحيله علما انه لم يذكر منذ وفاته حتى اليوم، لذا آثر إتحاد الادباء على استذكاره وفاءا ومحبة.

بعده تحدث حازم نوري لموزة نيابة عن عائلة الراحل وهو ابن اخته قائلا: انني لا انوي التحدث عن يوسف عبد المسيح ثروت ناقدا مبدعا او كاتبا بليغا ومترجما بارعا غزير الانتاج بكافة تلكم المجالات، بل اتحدث عن الفقيد كونه انسانا شديد الحساسية بانسانيته، كان يرى الاشياء دائما بمنظور ما يخدم الانسان اولا والانسان بالمفهوم المطلق بعيدا عن اية اعتبارات طائفية او عرقية او سياسية او طبقية، كان يحب الناس بشكل عميق وحقيقي بعيدا عن اي تزلف او تصنع، يجالس الناس جميعا، تجده في المقاهي في وقته المخصص وحوله الاصدقاء والمعجبون، جمع جميل ومتباين احيانا في الاعمار والثقافات وكان يحبهم جميعا بلا استثناء. يوسف عبد المسيح ثروت كان معلما في بعقوبة، يحب مدرسته الى حد العشق ويحب تلامذته الى حد الموت، كان يتفانى في تدريسهم، كان شديدا ورقيقا في آن واحد، لايعرف اللين في الخطأ ولا يعرف التعسف مع جيل الشباب الناهض والذي يبني كل الامال العراض عليهم.. واستطرد لموزة في حديثه وسط اصغاء هادئ للكلمات الطالعة وهي تتحدث عن الفقيد: ابا عمار كان يعشق النخيل والنهر، كان يحب طول قامة النخلة وعنفوانها، عاش بين ظهراني نهر خراسان الذي يشق بعقوبة الى نصفين، وديالى التي تحتضن وتروي بساتينها الجميلة، كان يحب الخصب والنماء والحياة، كان يحب اللون الاخضر لانه لون اشجار الليمون والبرتقال ولون سيقان النخيل والسنديان وهامات الناس التي تكدح لتسوية اراضي البساتين ليأكل الناس الرمان والتين، كان يحب الخمر والتمر، كان يتغزل في الكأس حين يشربها ويضحك ويمرح في جلسته المسائية بعد عناء العمل، كانت حياته جميلة متناقضة، كان يشتغل يوميا عشر ساعات تقريبا وهو جالس في غرفته يقرأ ويكتب ويترجم حتى في عز الصيف، كانت له صومعته الخاصة، غرفة مبنية في مؤخرة الدار يجلس فيها ويقرأ والعرق يتصبب من جبينه، كان يمسح جبينه بمنشفة صغيرة ويستمر في العمل وكانت اداة التبريد لديه مروحة سقفية فقط ولا يحب التبريد الاصطناعي "المبردات" ويقول دائما: ان الجو الطبيعي هو افضل شيء.. وذهب المتحدث يسرد نتاجات الراحل العديدة ونيله لشهادة تقديرية عن المركز العراقي للمسرح وتحمله لمسؤولية مجلة "الثقافة الاجنبية" للسنوات العشر الاخيرة من حياته، وفي ختام كلمته شكر الاتحاد والفريد سمعان والذين اسهموا في الاحتفالية.

ثم تحدث الدكتور عقيل مهدي عميد كلية الفنون الجميلة الذي قال: كلمتي تحمل عنوان "المسرح وآلة الترجمة الجهنمية عند يوسف عبد المسيح ثروت" قال في مطلعها: ما حسبت يوما ان يوسف سيموت مثل سائر الخلائق فجأة، لاننا كنا طلابا فنراه مثل شارع المتنبي او جامعة بغداد او اتحاد الادباء وخان مرجان، اثرا شاخصا، نتلقف كتاباته المترجمة لكي تهدينا في دروب المسرح التي دلفنا اليها توا بلا طوق نجاة سوى ما نتعلمه من بعض اساتذتنا وما نطلع عليه في مجلة المسرح المصرية والاصدارات الشحيحة الاخرى.. واستطرد عقيل في حديثه مقتربا منه: كان الرجل القصير الذي ينغم الكلام في انفه قبل فمه وغير المعتني بهندامه مأخوذا بسليقة الترجمة او هو عبارة عن ناعور يملأ جراره بالماء الثقافي الاجنبي ليحيي الاراضي البور ويجعلها سهوبا خضراء.. ومضى يواصل حديثه: لم نتبادل الحوار مرة وجها لوجه لكنه كان مأخوذا بعراقيته وبتقدميته وبحبه للمسرح العراقي بلا حدود في جميع ندواته ومقالاته، كانت ماركسيته، كما يخيل لي، مشوبة بأخلاط "ليبرالية"، ولم تؤخذ من مرجعها السوفيتي، بل ترشحت من موشورات غربية، فتراه منقسما بحبه، كما ازعم، للعبث واللامعقول واللاالتزام بعنوانات ماركسية اختزالية مثل الحياة، المجتمع، الطبقات، التاريخ، يسدلها كستارة تخفي شغفه بالطروحات المسرحية الحديثة التي يراها قد دهمت العالم بأسره ونحن العرب عنها غافلون حتى وان كان مصدرها الغرب البرجوازي نفسه او اميركا، وربما تطرف، كما احدس، في ترجماته بعيدا عن الترجمة الحرفية احيانا بمداخلاته الشخصية وثقافته الخاصة باستنطاق النصوص على غير ما كانت عليه، ولا اظن ان هذا يدخل في نطاق "الخيانة" قدر تعبيره عن حرصه في تنوير قارئه..

المرحوم يوسف عبد المسيح ثروت

وبعد ان اسهب الدكتور عقيل في شرح ملامح علاقة ثروت بالمسرحيات العالمية والمسرحيين العالميين ونقوده لها وتأثراتها عليه قال: يوسف عبد المسيح ثروت يشكل وحدة سردية في مشهد النقد المسرحي العراقي بمكونات وعيه المتناقضة اذا اخذت من الخارج لكنها منسجمة داخليا بديناميكيتها وانفتاحها على الجديد المتحرك وكان من ابرزها الخطاب الماركسي ومن ثم الوجودي والعبثي والنفسي، حين تراه.. مثل راهب هرطوقي ومن زاوية نظر اخرى يبدو وكأنه "تحريف" تبادلت فيه المرجعيات الثقافية الشمولية امكنتها فأختلط صخب النظريات وعنفها بهدوء العقل وصفائه.

ثم اعتلى المنصة الدكتور صلاح القصب وبهدوء تقطرت كلماته التي راح يلفظها على المسامع، قال: نقف امام عقل ثقافي، امام تواصل حضاري مع العالم، يوسف.. كان صوتا حضاريا، كان صوتا مستقبليا استطاع ان يشكل حوارا ثقافيا مع قارات هذا العالم وان يدخل فنا مركبا صعبا هو المسرح، استطاعت ثقافة هذا الانسان الكبير ان تشكل مدخلا بالنسبة لنا على مستوى المعرفة والتواصل والحضارة التي هي مدخل الترجمة، هي تواصل مع اجيال وحضارات وثقافات متعددة في المسرح هذا الفضاء المعقد بتلك الاسئلة والمداخلات المتعددة والذي يشكل حضورا ما بين الان والماضي والمستقبل، مابين هذه الازمنة الثلاثة استطاعت رؤى المترجم المثقف الحضاري يوسف ان تتداخل وان تلتقط ماهو محرك وماهو يشكل نبضا بالنسبة الى المسرح، لذلك المسرح العراقي والثقافي والتاريخ المسرحي المضيء يقف بجلالة لهذا الامبراطور الثقافي الذي كان لايملك الا تلك الحقيبة الثقافية التي فيها عمق ثقافي.. واضاف الدكتور القصب في ختام كلمته قائلا: انا كمسرحي ومن خلال اصوات المسرحيين واجيال المسرح الممتدة والمتواصلة مع كل ماهو حضاري ومتقدم اقف اجلالا ومحبة لهذا الانسان الكبير.

واختتم حميد عطوي الكلمات المستذكرة لسيرة الفقيد وثقافته متحدثا عن بعض الكتب التي تختص بالمسرح التي ترجمها الراحل واهميتها للجيل وافكاره حول بريخت التي وجد فيها الراحل ظاهرة متكاملة تتناسب مع الادوار التي قام بها في وضع الاسس لكيان مسرح عالمي جديد، مشيرا الى ان يوسف ثروت كان من المتابعين الحريصين للعروض المسرحية وشكل حضورا مع مجموعة من زملائه في الوسط المسرح.

ومع تحلق العيون حول صورة الراحل ووجوه عائلته عاد الفواز ليدعو وزارة الثقافة العراقية لاعادة طبع كتبه او ان تدعو الجهات المعنية بأمانة بغداد الى تسمية شارع باسمه وتدعو وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لتسمية احدى القاعات باسمه، مشيرا الى: اننا نسعى الى ان نضع الأثر في مكانه وبقدر الاهتمام بالاحياء علينا الاهتمام بالمتحف الثقافي الذي يؤرخ حضارة الانسان، اذ لايمكن للدولة ان تتعزز بالامن والسياسة فقط بل بالثقافة.

رسالة إلى عائلة آشورية مهاجرة

إبراهيم بادل

آه أيها الألم لقد أوجعني الأمل.. كلمات تعودت دائما أن أبدا بها رسالتي إلى الذين أحبهم والذين يعذبني فراقهم ويؤلمني وجعهم !.

أجل أيها الأعزاء.. الأمل في أن تهاجروا كان كبيرا، والألم في أن نفترق كان أكبر، ولكن.. ماذا بأيدينا.. هكذا تشاء الأيام أن نلتقي في حال.. ونفترق أيضا في حال ؟!.

آه.. أيها الأحباء. لست أدري ماذا تقولون عني اليوم وقد تأخرت كثيرا في الرد على رسالتكم الأولى؟.. مؤكد أنكم تلعنون "سنسفيل" أجدادي الآن، ولكن.. هل تعرفون ماذا فعل فراقكم بنا، وبي بشكل خاص؟.. وهل تعتقدون أن هناك في الحياة ما هو أصعب من فراق الأحبة؟!.. لست أدري أي مشاعر وأحاسيس كانت تنتابني كلما حاولت أن أكتب إليكم.. الغصة في صدري تسكتني والدمعة في عيني تلوعني، فأترك القلم والقرطاس بعيدا وأهرب من كل ما حولي وما يحيطني.. وأعيش مع ذكريات أيام "حلوة – مرة"، عشناها معا لا يبعد فيما بيننا سوى مسافة غير طويلة.. عدد من الشوارع نخطوها مشيا بدقائق قصيرة – مرت من عمرنا وأخذت معه الكثير لتضيفه إلى عمر الزمن الذي لم يبق لنا فيه إلا القليل– وأجد نفسي قريبا من البيت الذي كنتم تسكنون. وأقف على طرف الرصيف.. بالقرب من مطرانية الأرمن الأرثوذكس.. الباب الشمالي، وأتأمل كل الشوارع المحيطة بالمكان فتقع عيني هناك باتجاه الشرق على قبة كنيسة الكلدان، وهناك بمواجهة الغرب.. تزين صدر مدخل الكنيسة جدارية كبيرة من الرخام "صورة المجوس".. الذين يقصدون بيت لحم، وقد كتب فوقها بالخط الأسطرنجيلي والعربي هذه العبارة: "رأينا نجمة ساطعة في المشرق فجئنا لنسجد له".. انظر إلى البيت الذي سكنتم فيه، فأراه من خلال الدموع في عيني ضبابيا هلاميا كأنني في حلم، وأقول في نفسي: "هنا سكنوا أناس أحببناهم وأحبونا، زرناهم وزارونا. أضحكناهم وأضحكونا، قصدناهم وقصدونا، بكيناهم وبكونا، واسيناهم وواسونا.. ولكن أين هم الآن، ولماذا ذهبوا وتركونا ؟.. وهل سنخطر في بالهم– كما هم في بالنا– أم أنهم كما نسيناهم قد نسونا؟!".

أعود وأنظر حولي.. وألقي نظرة خاطفة على البيت الذي سكنتم فيه.. وأحس بالصمت الذي يحيط به ويلف جدرانه، رغم صخب الشارع وضجيجه بأصوات المارة والسيارات.. أنقل خطوات متثاقلة باتجاه شارع الوحدة. أقطع الشارع إلى الرصيف المقابل والمواجه لباب صالة الكنيسة والباب الرئيس لباحة الكنيسة، وأقف عند مكتب "إيزلا".. وأتذكر يوم أن بشرتنا "أم زيا".. زوجتي وأنا، وقد التقيناها صدفة، وكانت معنا صغيرتنا "إيما".. وكنا قادمين من عند الطبيب. أخبرتنا قائلة بالآشورية: "تيلي شمن".. أي– جاء اسمنا– او..ورد اسمنا في لائحة او قائمة المهاجرين. وأخذت أرقص في الشارع– كما الطير المذبوح– فرحا مبتهجا رغم كل أحاسيس الأسى والمرارة التي انتابتني لمجرد أنني أدركت أنكم سترحلون كما الآخرين "لا محالة".. أي أننا نحن الآشوريين نفترق دائما وفي كل زمن فراقا مؤثرا وصعبا ومرا!.

أجل أيها الأعزاء والأحباء. زمن ما استطاع أن يفرق بيننا، ولكن.. هل سيأتي زمن آخر ليجمعنا من جديد؟. من يدري؟!.

تذكرني زوجتي دائما وتقول لي: لم أعهدك مقصرا تجاه الآخرين.. فكيف مع "بيت أبو زيا"؟!.. أنها تزيد في بؤسي وشقائي وغربتي.

آه.. أيها الأحبة كم كنا نردد هذه الكلمات "بيت أبو زيا– بيت أم زيا".. حتى عندما كنتم هنا، وكم نرددها اليوم وأنتم بعيدون عنا.

أقول لزوجتي.. بصوت متهدج مخنوق: لا أعرف.. أشعر وكأن سفرهم تركني وحيدا في هذا العالم. وأصمت وأنا أشيح بوجهي عنها!.. تقول: لا تخف عينيك عني لأني أرى الدمع فيهما كما هي في عيني، ولكن أوليس هذا ما كنا نريده ونطلبه لهم؟.. أن تحل عقدة سفرهم، أو هل نسيت كم كانت معاناتهم تعذبنا؟، ولم نكن لنستطيع أن نفعل شيئا؟!.

أجل أيها الأحباء والأعزاء.. هكذا تمضي بنا الأيام وقد مضى على سفركم زمن طويل، وذكراكم لا تغيب عن بالنا.. وكثيرا ما أتساءل في سري: كيف يمكن أن تغيب عن عيوننا تلك الوجوه الطيبة المحببة إلى القلوب– ليس قلوبنا فحسب– بل قلوب كل الذين عرفوكم وعايشوكم؟!.. كيف ننسى تلك الأوقات الحلوة وأنتم تهلون علينا بين حين وحين، وابتساماتكم وضحكاتكم لا تخفي الأسى الذي كنا نعيشه في ملامح وجوهكم؟!، كيف ننسى عندما كنا نزوركم بين وقت وآخر وأنتم تستقبلوننا، والفرح والسرور يزينان وجوهكم الجميلة.. "والأهلا وسهلا".. تنثرونها علينا حبات أرز وصنوبر، في قدومنا وذهابنا.. ولكن من قال أننا ننسى؟!.. لست أدري.. دائما أسأل نفسي، وأسأل الآخرين أيضا: ما فائدة أن نسعى لنعيش حياة أفضل مما عشناها "ربما".. ونحن نترك خلفنا "غصة ودمعة وحسرة؟!".. وكذلك أيضا نحمل معنا هذه الغصة والدمعة والحسرة؟!.. إنها الغربة والاغتراب، غربتكم أنتم حيث تهاجرون.. واغترابنا نحن حيث تتركون!.. إنه الفراق والافتراق، أجل أيها الأعزاء الأحباء.. لا تستغربوا إن وجدتموني "أضعف خلق الله" تجاه هذا الذي يسمى الوداع، أو الفراق "الغربة".. آه منك كم أنت قاسية وصعبة وظالمة!.

ما كنت أريد لهذه الرسالة وهي الأولى إليكم أن تحمل هذا الأسى وهذا الشجون، ولكن ماذا بأيدينا.. إنه الشوق والحنين يدفعنا أن نتذكركم ونتألم لابتعادكم وافتراقكم، وكما نحن.. أنا واثق أنكم أكثر شوقا إلينا وأكثر حنينا إلى "زالين– القامشلي" هذه المدينة الوادعة التي جمعتنا لأكثر من سبع سنوات.. عشناها بالقرب منكم وأحسسنا من خلالكم بكل أيامها الصعبة عليكم، وبكل معاناتكم وحيرتكم. مع ذلك، أمرا عظيما كان يدفعكم على الصبر والقدرة على التحمل.. هو إيمانكم بأن الله لن يتخلى عنكم ولن ينساكم رغم لحظات الضعف التي كانت تظلل صبركم وتفاؤلكم.. إلا أنكم كنتم تنتصرون على ضعفكم وتستبشرون الخير دائما. أما اليوم.. لست أدري "ربما".. اختلفت رؤيتكم للأمور، أو "ربما".. تغيرت نظرتكم إليها وأنتم تعيشونها الآن حقيقة وواقع!. أتمنى أن تكون هذه الحقيقة كما كنتم تريدونها، وكما كنا نريدها لكم جميلة وزاهية وكريمة.. لأنكم تستحقون أن تكون أيامكم حلوة وهنيئة وسعيدة، تغمرها المحبة فيما بينكم وبين جميع الأهل والأحبة وكل الناس.. لأن "الله محبة ، والارض محبة ، والوطن محبة".

انطباعات أولية عن الشعر العراقي في المنفى (١-٢)

عبد الكريم كاظم

(لا تدق مسماراً في حائط، لا تعلق صورة على جدار، فأنك في غد عائد) برتولد بريشت

ليس شعر المنفى منفصلا عن الواقع "هناك" لكنه ليس متحداً معه إنه يتحرك في نقطة ليس واقعا "هناك" ولا حلما هنا ذلك أنها الواقع والحلم في آن وبتعبير أدق.. إنه يرفع الواقع "هناك" إلى مستوى الحلم هنا ونعني بكلمة "هناك" الإشارة إلى المكان الأول أو ما يسمى مسقط الرأس.

لا يجوز أن نبحث في المنفى عن الشاعر بحد ذاته وإنما عن كونه الشعري وعن صلته بالمعرفة والعالم والكشف عنهما ذلك لأن من أعقد مشكلات الكتابة الشعرية وأكثرها حضورا وإلحاحا مشكلة المكان حين يعالجه الشاعر بأكثر ما يمكن من الجرأة والصراحة وهذه الحالة تجعل من الشعر أقرب إلى ان يكون ضرورة كونية مغروسة في الشاعر من أن يكون حاجة كلامية مغلقة جامدة تقتل الشعر، لذلك يحسن بنا أن ندرك ماهية المنفى أولا لنعرف بعد ذلك كيف نطالب الشاعر المنفي بكتابة قصيدة جديدة مغايرة أو إيجاد معنى جديد؟. أحيانا يبدو لي أن المنفى هو المكان الذي يتحرك فيه الشاعر بحرية مطلقة واضعاً قصيدته على حافة المستقبل الذي يعطينا هو الآخر دلالة شعرية تتجاوز الماضي وقيمه الشعرية الموروثة إلى الحاضر المتغير الذي يتحتم عليه أيضا أن ينطلق بدءا من مقاييسه الجديدة وتجاربه المعرفية الخاصة.

غالبا ما يطرح السؤال عن الشعر العراقي في المنفى: كيف بوسع شعر المنفى أن يتجاوز شروطه القسرية المتعلقة بموضوعي المكان والزمان؟، وسواء أحيل هذا السؤال إلى الشاعر المنفي أو الناقد على حد سواء فستكون إجاباتهم محفوفة بالريبة والتوجس، وذلك لتعدد الأجيال الشعرية المقيمة في المنافي المتشعبة والمنتشرة هنا وهناك، إضافة إلى جملة من الاشتراطات الذاتية والفنية التي تنبع من المنجز الإبداعي لكل شاعر مع الانتباه أيضا إلى طبيعة العوامل السياسية والتاريخية وسواها، فالمنفى لا يعني بالضرورة مبارحة المكان ــ مسقط الرأس ــ والانخراط برغبة أو دونها مع الآخر الغريب، بل يبدو لي أنه ينطوي ليس على عملية إفراغ العالم المحيط بالمنفي من حقيقته ومعناه فقط بل الولوج إلى أبعد من ذلك وتحديداً الجانب الإنساني الذي ينبت في أي مكان يمكن أن يقدم له إمكانية التواصل الروحي مع الحياة، بهذه الصيغة أنظر إلى المنفى، وبالتالي علينا أيضا أن لا ننسى من أن المنفى تجربة والتجربة شيء إنساني لها علاقة تبادلية وحركية بشكل المكان،المنفى مجمل أجزائها وقد أرى نفسي متفقا إلى حد بعيد فيما ذهب إليه الشاعر الاسباني "روفائيل البرتي" في حديثه عن المنفى حين قال: "المنفى يجعلك تظل شابا لان الساعة تتوقف هناك في البلاد التي تركتها تنتظر عودتك" وبهذا تتحقق حرية الشاعر بعد أن تكتمل حركية علاقاته مع الأشياء التي توفر له هذه الحرية كتعويض عن خساراته أو مفقوداته الروحية.

ليس بوسع المتتبع لحركة الشعر العراقي في المنفى أن يتجاهل المجاميع التي تشكلت ملامحها سابقا وحتى تلك التي ظهرت في فترات الحرب المتعاقبة وما تلتها من هوامش وملحقات والتي أصبحت فيما بعد فاعلة بصورة متميزة بما يتيح لها القدرة على أن تضع بصماتها ليس على خارطة شعر المنفى وحسب بل على شكل المشهد الشعري في العراق عموما بغض النظر عن تعدد الأجيال واختلافاتها الفكرية، فعملية التوزع أو التواجد بهذا الشتات وتنوع المنافي وتداعياتها الدراماتيكية ومن ثم اشتراطاتها القسرية المفروضة على اختلاف التجارب والمستويات ما جعلنا نخرج عن حدود الإحصاء كي لا نختزل هذه التجارب بمقال قد لا نفي حق الكثير من الأسماء الشعرية المهمة فما يهمني هنا ليس المشهد الذي يتحرك به الشعراء بل مساحة الشعر التي يخلقها هذا المشهد على مستوى الشكل والمحتوى وعلينا أن نمعن في إظهار هذه الحالة وإخراجها من حيز التجربة كي تعلن عن نفسها بعيدا عن النتائج التي تظل جزءا من المنفى وشاهدة على تداعياته المختلفة. الكثير من الشعراء عانوا من موضوعة الإلغاء والتهميش التي مورست ضدهم في فترات متباعدة ولأسباب متنوعة قبل وبعد هذا الخروج الدرامي وأثره على الوضع الثقافي في بلدانهم الأصلية إضافة إلى الصمت النقدي الذي مورس ضد نتاجاتهم بصورة قصدية تارة وأخرى تجنبا للمتاعب أو الشبهات فكان البحث عن مكان أو حيز صغير إحدى الوسائل التي تتيح لهم فرصة التنفس، النشر والتواصل المهم والضروري للاحتفاء بالحياة في عصر موغل بشكل مجنون بالقسوة والشراسة وهذه الحالة لا تتعلق بمحاكاة تقليدية وفجة لموضوعة المنفى بل الذهاب بعيدا في تفاصيل هذا المنفى ومدى الفداحة التي تترتب عن طبيعة العلاقة مع الأشياء المصيرية التي تتعلق بصورة متطابقة إلى حد كبير مع المنجز الإبداعي لهذا المنفي وهنا أورد ما قاله الفيلسوف "جاك دريدا" من أن "لا شيء يقبع خارج النص" بمعنى أن النص أو المنجز الإبداعي ليس سوى مرآة تعكس بشكل أو بآخر الطبيعة والسلوك اللذين يتعامل بهما المبدع مع مكان النفي وزمانه لتكون عملية المقاربة ممكنة إلى حد ما ولتترسخ، أيضا، شساعة خساراته التي لا تتوقف في هذا الفضاء التراجيدي الذي يجعل المرء على الدوام منفيا أنى كان في هذا الكوكب وكأن بمراثي الشاعر الألماني "ريلكه" شاخصة أمامنا إلى الأبد وهو يردد: "**من هو وحيد الآن هكذا طويلاً سيبقى**" ومع هذا كانت عملية الإخلاص لقضية الشعر قائمة باعتبار أن للشعر صيرورة أخرى عمقت الكثير من المفاهيم الحديثة التي أمسكت بجوهر الحالة الشعرية بحيث يستطيع أن يراها المنفي شاخصة في الأفق بوضوح كبير وهي تنمو على نحو مدهش رغم وطأة الظروف وفضاءاتها المغلقة أو المطوقة بالعتمة التي تتفاقم من خلالها التعقيدات المستقبلية الكثيرة بالنسبة للشاعر.

* موقع كتابات.

سجن.. وحرية

عصام شابا فلفل

إخترت سجني
دخلت زنزانتي
بكامل حريتي
دون قيد يكبل يدي
أو حبل يغل رقبتي
ولجت قفصي ومجدت جلادي
بمحض إرادتي

•••

فالسجن لي رحمة
وفي القيد اجد راحي.. وراحتي
والزنزانة جنتي بل روضة ورد
تنعش ذاكرتي
وطوق الفولاذ قلادة
قفلها جوهرة
ازين بها جيدي
وتلك زينتي
والقفص.. كوشة عرسي
قضبانه.. اغصان ورد
وبراعم آس
يبهج بريقها سكون خلوتي
فهو بيتي.. وملاذ راحتي
وجلادي.. خليلي
امير مملكتي
ضربات سوطه
مساج طبيب يداعب جسدي
احس به وكأنها
كفي حبيبتي

•••

تحسد الطيور قفصي
وتشتهي ملوك الارض سجني
فمرحى لسجن منحني حريتي
وتبا لحرية مزيفة
تقيد معصمي
ونيرها فوق رقبتي
والويل لحر باع كرامته
والمجد لعبد اشترى سجنه
فهو حر..
والحر الذميم عبد سيده..